إشكالية الترجمة الدينامية في ترجمة القرآن الكريم من منظور لغوي: الترجمة الملايوية أنموذجا

د. مجدي حاج إبراهيم

قسم اللغة العربية وآدابها – كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

تاريخ الاستلام : ٢٠٠٨/٠٤/٠٣ تاريخ القبول : ٢٠٠٨/٠٥/٢١

الخلاصة:

يهدف البحث إلى تقويم المنهج الدينامي في ترجمة النصوص الدينية من خلال دراسة سبل إمكان تطبيقه على ترجمة القرآن الكريم لإماطة اللثام عن حقيقة قدسية النصين القرآني والإنجيلي. وسيقتصر البحث على تناول إشكالية اعتماد التكافؤ الدينامي في ترجمة القرآن للملايوية من منظور لغوي بناءٍ على نتائج نظريات الترجمة المطروحة والمبادئ اللغوية العامة. كما سيعمل البحث أيضاً على إعادة صياغة منهج الترجمة الدينامية وتحديد ضوابطه وتقنين استخدامه بما يتناسب مع حاجة ترجمة القرآن الكريم.

المفردات المفتاحية: ترجمة، القرآن الكريم، الملايوية، تكافؤ دينامي، منظور لغوي.

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى دراسة وتقويم منهج الترجمة الدينامية في ترجمة النصوص الدينية، خاصة وأن الترجمة الدينامية أصبحت اليوم المنهج المتبع في ترجمة الإنجيل إلى لغات العالم. فالترجمة الدينامية تجيز إحداث أي تغيير في النص الأصلي أو إبدال من شأنه أن يحدث نفس التأثير والاستجابة لدى قرّاء النص المترجَم.

ويعتمد البحث في عملية تقويم المنهج الدينامي على دراسة سبل إمكان تطبيقه على ترجمة القرآن الكريم للغة الملايوية، وذلك من أجل إماطة اللثام عن حقيقة قدسية النصين القرآني والإنجيلي، وتأثير ذلك على طريقة تناول أصحاب النصين، المسلمين والنصارى، ترجمةَ مقدساتهم.

وجدير بالذكر أن هذا البحث لا يقصد الترويج لمذهب المبشرين في ترجمتهم للإنجيل، ولا إلى الدعوة – لا من قريب أو من بعيد – إلى اعتماد منهجهم في ترجمة القرآن

الكريم. كما أن محاولة تطبيق المنهج الدينامي على نماذج من الترجمة الملايوية للقرآن ليس القصد منها دراسة سبل إمكان إخضاع القرآن وترجماته للمناهج الأجنبية الوافدة، وإنما القصد منها تقويم المنهج الأجنبي للتعرف على محاسنه وعيوبه، والكشف عن مدى صلاحيته، وجدارة اعتماده في ترجمة النصوص الدينية.

إن أخطر ما في الترجمة ذات التكافؤ الدينامي أنها تفتح باب التأويل على مصراعيه، فتجيز للمترجم تعديل وتحوير النص الأصلي بالطريقة التي يراها لإحداث التأثير الذي يرمي إليه في قرّاء اللغة الهدف. ولعل هذا الأمر هو السبب وراء ما آل إليه حال إنجيل اليوم الذي أصابه ما أصابه من التحريف، فامتلأ بالإضافات والترهات والأكاذيب عندما رغب أصحابه في جذب أكبر قدر من القراء إليه، فضلاً عن إرضاء رغباتهم وأغراضهم الشخصية.

وسيقتصر البحث هنا على تناول إشكالية اعتماد التكافؤ الدينامي في ترجمة القرآن للملايوية من منظور لغوي بناء على نتائج نظريات الترجمة المطروحة والمبادئ اللغوية العامة، ولن يتناول مناقشة حكم الشارع الحكيم في هذه المسألة، لأن قضية ترجمة القرآن بالتأويل قد أصبحت اليوم شبه محسومة، حيث أسهب علماء المسلمين في تفصيل ذلك، وذهب جمهورهم إلى تحريمه.

أولاً: مفهوم التكافؤ في الترجمة:

لقد حظي مبدأ التكافؤ في الترجمة باهتمام المنظرين والباحثين والمترجمين منذ القدم حتى أصبح المحور الرئيس الذي انطلقوا منه في محاولاتهم لتشكيل نظرياتهم واتجاهاتهم الخاصة نحو الترجمة. فالهدف الذي سعت نظريات الترجمة إلى تحقيقه - ولا تزال تسعى - يتمثل في البحث عن سبل إمكان إحداث التطابق التام بين النص الأصلي وترجمته، فقيمة العمل المترجم لا تتحقق إلا إذا كانت الترجمة صورة للأصل في المحتوى والتأثير. وهو ما يؤكده كاتفورد حين أوضح أن "المشكلة الرئيسة في ممارسة الترجمة هي إيجاد مكافئات لغة الهدف الترجمية، وأن المهمة الأساسية لنظرية الترجمة هي تحديد طبيعة شروط التكافؤ"(١). وقد عرف جاكوب ريتسكر (Jakob Retsker) التكافؤ بمفهومه العام بأنه "مطابقة كل كلمة أو مجموعة كلمات في لغة المصدر في سياق تام، أو بمعنى آخر كل تطابق تام لأصغر وحدة في الترجمة"(٢).

ولقد تناولت كتب الترجمة مفهوم التكافؤ بطرق متنوعة وأشكال متعددة، فنجد أن أوتنجر (Oettinger) يذكر "العناصر المكافئة"، وكاتفورد (Catford) يقدم "المادة النصية المكافئة"، ووينتر (Winter) يطالب "بالتكافؤ قدر الإمكان"، ونايدا (Nida) يقترح "أقرب مكافئ طبيعي"، وويلس (Wills) يتحدث عن "أقصى مكافئ لنص لغة الهدف"، وجيغر

(Jager) يقترح "التكافؤ الاتصالي". هذا بالإضافة إلى مصطلحات التكافؤ المتعددة، مثل: تكافؤ المحتوى، والتكافؤ الأسلوبي، والتكافؤ الوظيفي، والتكافؤ النصي، والتكافؤ الاتصالي، والتكافؤ التأثيري.

وعلى الرغم من أهمية التكافؤ واشتغال المنظرين والباحثين المتواصل بدراسته إلا أن بعض منظري الترجمة نادوا بالتخلي عنه واعتماد بديل آخر يكون مرتكز نظريات الترجمة الحديثة. فقد كثرت في الآونة الأخيرة الانتقادات حول مبدأ التكافؤ عندما أساء فئة من اللغويين تناول التكافؤ في الترجمة إذ حاولوا معالجة عملية الترجمة باعتبارها نقلاً للكلمات من لغة إلى أخرى، فاتجهوا في دراساتهم نحو البحث عن مكافئات لغوية أو بدائل لمفردات اللغة المصدر اعتقادًا منهم أن الأمانة والدقة في الترجمة تستلزم نقل كل الوحدات اللغوية من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف. وقد دفع هذا الاتجاه العقيم الساعي نحو إيجاد المكافئات اللغوية بعض المنظرين إلى رفض فكرة التكافؤ جملة وتفصيلاً، وقد أعلنت سنيل هورنبي (Snell-Hornby) في هذا الصدد رفضها لمفهوم التكافؤ ونادت بضرورة معالجة علاقة النص بترجمته من خلال مدخل آخر بعيدًا عن منطق الرياضيات الذي يسيطر فيه مفهوم التكافؤ(٣).

ولكن على الرغم من الانتقادات الموجهة لمبدأ التكافؤ، فقد ظل التكافؤ المرتكز الرئيس لعملية الترجمة، والشغل الشاغل للمنظرين والمترجمين – ولا يزال – حتى يومنا هذا. فالبدائل التي طرحت لإلغائه واستبداله لم تخرج عن دائرة التكافؤ العام أيضًا، وكل ما فعله الرافضون للتكافؤ أنهم تحولوا عن الاهتمام بمكافأة الكلمة بالكلمة إلى الاهتمام بمكافأة النص بالنص، أو التأثير بالتأثير.

ثانياً: **مفهوم التكافؤ الدينامي**:

يطالعنا المترجم والمبشر يوجين نايدا Eugene A. Nida، أحد أشهر منظري الترجمة في العصر الحديث في كتابه (نحو علم الترجمة)، بمسمى جديد للتكافؤ - وإن كان غير جديد في المفهوم - هو التكافؤ الدينامي.

فنايدا يرى أن للتكافؤ صورتين؛ تكافؤ شكلي، وتكافؤ دينامي. فالترجمة ذات التكافؤ الشكلي هي تلك الترجمة التي تركز على نقل رسالة النص الأصلي شكلاً ومضمونًا إلى اللغة الهدف، فالمترجم هنا يحاول قدر الإمكان الحفاظ على شكل ومحتوى الرسالة الأصلية. وتتطلب مثل هذه الترجمة إدخال العديد من الحواشي اللغوية من أجل جعل النص المترجم مفهومًا فهمًا كاملاً. أما الترجمة ذات التكافؤ الدينامي فهي تلك الترجمة التي تسعى إلى أن تحقق في قرائها نفس التأثير الذي أحدثه النص الأصلي في قرائه الأصليين. فالترجمة هنا لا تهتم كثيرًا بمكافأة النص الأصلي بالنص المترجم، بل

مكافأتها بالعلاقة الدينامية التي ربطت النص الأصلي بقرائه الأصليين وإحداث تلك العلاقة الدينامية نفسها بين الترجمة وقراء اللغة الهدف، وذلك من خلال ربط صيغ وسلوك النص الأصلي ببيئة قراء اللغة الهدف وثقافتهم.

ويقر نايدا بأن التكافؤ الشكلي والتكافؤ الدينامي يمثلان قطبي عملية الترجمة، حيث إن انقسام المترجمين في توجهاتهم نحو الترجمة لم يخرج عنهما في يوم من الأيام. ويقدم نايدا مثالاً للترجمة ذات التكافؤين الشكلي والدينامي في ترجمة عبارة (القبلة المقدسة)، وهي أسلوب تحية كان متعارفًا عليها في أزمنة (كتاب العهد الجديد). فقد ترجم فيلبس عبارةً في (كتاب العهد الجديد) في فصل الرومان، من معنى⁽٤⁾:

“Greet one another with a holy kiss”
"يحيون بعضهم بعضًا بالقبلة المقدسة"

إلى

“Give one another a hearty handshake all around”
"يصافحون بعضهم بعضًا حبا وتقديرًا"

يتبين لنا أن الترجمة ذات التكافؤ الشكلي قد نقلت معنى (القبلة المقدسة) بدون مراعاة الاختلاف الثقافي بين العصرين القديم والحديث، في حين أن الترجمة ذات التكافؤ الدينامي استطاعت أن تخلص العبارة (القبلة المقدسة) من الغرابة والاشمئزاز اللذين كان من الممكن أن يعتريا قراء العصر الحالي من الإنجليز، وذلك عندما أبدلتها بمعنى مغاير يؤدي الوظيفة نفسها بشكل مقبول يتناسب مع ثقافة اللغة الهدف (المنقول إليها).

وبناء على ما تقدم، فإن نايدا يقترح استحضار المكافئ الدينامي في عملية الترجمة بديلاً عن المكافئ الشكلي الذي ثبت عجزه وقصوره. فوظيفة المكافئ يجب ألا تقوم على نقل الشكل اللغوي للنص الأصلي فحسب، بل تنقل بجانب التأثير الذي أحدثه النص الأصلي في قرائه أكبر قدر ممكن من المعنى الدلالي. من هنا فإن نايدا يعرف التكافؤ الدينامي بأنه "أقرب مرادف طبيعي لرسالة لغة المصدر"⁽٥⁾.

من خلال هذا التعريف نجد أن المكافئ الدينامي يقوم على ثلاثة عناصر:

١ - مكافئ، وهو اتجاه نحو اللغة المصدر.
٢ - طبيعي، وهو اتجاه نحو اللغة الهدف.

٣ - أقرب، وهو اتجاه نحو اللغتين الهدف والمصدر في آن واحد ويهدف إلى إيجاد أعلى درجة تقارب ممكنة.

وبما أن الترجمة ذات التكافؤ الدينامي موجهة في المقام الأول نحو إحداث تكافؤ التأثير والاستجابة لا نحو تكافؤ الشكل، فإن مضامين الكلمة (طبيعي) في تعريف نايدا يجب أن تغطي ثلاث مساحات في عملية الاتصال، هي: اللغة الهدف، وثقافتها، وسياق الرسالة الأصلية، وجمهور قراء اللغة الهدف.

من جانب آخر، يؤكد نايدا في عرضه لمبدأ التكافؤ الدينامي على أهمية إيجاد المكافئ الوظيفي للألفاظ والعبارات عندما يعجز التكافؤ الشكلي عن إحداث التأثير المطلوب أثناء التعامل مع الاختلافات اللغوية والثقافية بين اللغتين المصدر والهدف. وقد قدم نايدا في هذا الصدد كثيرًا من الأمثلة للاختلافات الثقافية بين الشعوب ليؤكد على ضرورة تبني التكافؤ الدينامي حيث يقول: " كيف نترجم إلى لغة المايا - القاطنين في قلب المنطقة الاستوائية - شجرة التين، وليس في تلك البلاد سوى نوع واحد من التين بري وغير مثمر؟! كيف نترجم كلمة صحراء في غابة الأمازون شبه الاستوائية؟! كيف نترجم كلمة جبل لهنود شبه جزيرة يوكاتا المسطحة تماما، وحيث تصل أعلى ربوة فيها إلى ثلاثين مترا؟!... وحتى لو ترجم المترجم كلمة الجبل إلى لغة يوكاتا بأنه ربوة كبيرة ترتفع إلى ثلاثة آلاف قدم، وترجم كلمة جدول بأنه ماء جار، فإن هذه الكلمات لا تؤدي معنى بالنسبة إلى الفرد من قوم المايا"(٦).

ثالثاً: منهج التكافؤ الدينامي في ترجمة الإنجيل:

تبرز أهمية التكافؤ الدينامي عند ترجمة الثقافات الخاصة في اللغة المصدر غير المعروفة في اللغة الهدف. فالاختلافات بين الثقافات تسبب في الحقيقة مضاعفات حادة للمترجم تفوق كثيرًا ما تسببه الاختلافات في تركيب اللغة. فعلى سبيل المثال، هنود (جيفارو) في الإكوادور قد لا يفهمون الجملة الإنجيلية الآتية:

I Corinthianas II: 14: “Does not nature teach us that for a man to wear long hair is a dishonor to him?”

"أليست الطبيعة تعلمنا أن الرجل الذي يطيل شعره يفقد كرامته؟!"

وسبب الغرابة أن رجال جيفارو عمومًا يتركون شعرهم يسترسل، بينما تقص نساؤهم البالغات شعرهن عادة. ومثال آخر في مناطق كثيرة من غرب أفريقيا، يُعدّ سلوك حواريي المسيح حين فرشوا الأوراق والأغصان في طريقه عندما سار راكبًا إلى القدس سلوكًا يستحق التعنيف والتوبيخ. إذ طبقا لعادات غرب أفريقيا يجب أن ينظف الطريق الذي يجتازه الرئيس، سواء كان ماشيًا أم ممتطيًا دابة، تنظيفًا تاما من جميع القمامات المبعثرة، وأي فرد يرمي غصنًا في طريق هذا الرئيس يعتبر متهمًا بإلحاق الإهانة الفاحشة(٧).

كما تبرز أهمية التكافؤ الدينامي أيضًا في محورة الأساليب لتتناسب مع عقلية وإدراك قراء اللغة الهدف. فمقاييس التقبل بالنسبة لمختلف أشكال المحادثة تختلف اختلافًا جذريا من لغة إلى لغة أخرى. فما يعدّ مناسبًا كليا في اللغة الإسبانية مثلاً يمكن أن ينظر إليه في الإنجليزية على أنه نثر منمق غير مقبول. كما أن النثر الإنجليزي الذي يعتز به الإنجليز بوصفه نثرًا رفيعًا ومؤثرًا غالبًا ما يبدو في اللغة الإسبانية نثرًا شاحبًا وفاترًا وفارغًا من بريق وليست له نكهة. فالكثير من الأدباء الإسبان يسرهم الرونق المتأنق الذي تتسم به لغتهم، بينما يفضل معظم الكتاب الإنجليز الواقعية الجزئية والدقة والحركة(٨).

لذلك فإن بعض مترجمي الإنجيل، الذين حاولوا أن يلتزموا بلغة الإنجيل الرفيعة المستوى ويبتعدوا عن التعابير الدارجة المبتذلة، قد وقعوا في خطأ فادح، حيث جعلوا ترجماتهم أشبه بوثيقة قانونية معقدة في اللغة الهدف. ونتيجة لذلك فقد ضاع في ترجماتهم كثير من طبيعة النص الأصلي ورشاقته وجماله. وهذا لا يعني الدعوة إلى استخدام التعبيرات الدارجة، فبعض اللغات ترفض ذلك. فمثلاً تعتبر بعض اللغات في أفريقيا بعض التعابير الموجودة في الإنجيل، العالية التقليد والمحاكاة، غير مناسبة ولا تناسب السياق الرفيع للإنجيل، وقد ساهمت المواقف الانتقادية لبعض المترجمين المبشرين إزاء التعابير العامية في ترسيخ شعور كثير من الأفارقة في أن مثل هذه الكلمات تعتبر غير ملائمة في السياقات الإنجيلية(٩).

وتبرز أهمية التكافؤ الدينامي أيضًا في أنها تحدد نوعية القراء من جمهور اللغة الهدف. فنجاح الترجمة ذات التكافؤ الدينامي يجب أن يقاس من خلال مدى قدرة الفئة المختارة من جمهور اللغة الهدف على حل رموز النص المترجم في حدود معرفتهم وخبرتهم. وقد أكد نايدا في معظم مؤلفاته أن مهمة الترجمة لا تكمن في جعل قراء اللغة الهدف يفهمون الرسالة الأصلية فحسب، بل تستلزم التأكد من سد جميع الاحتمالات التي يمكن أن تؤدي إلى سوء فهم قرّاء اللغة الهدف للترجمة(١٠).

وقد طرح مترجمو الإنجيل قضية مهمة تتمثل في تحديد مستوى اللغة المترجمة. فلغة كتاب العهد الجديد كانت اللغة الإغريقية التي كانت تعدّ لغة الكلام والكتابة لبلدان شرق البحر الأبيض المتوسط، وهي تعدّ أيضًا لغة رجل الشارع، ومن هنا يفترض في الترجمة أن تخاطب الرجل العادي. لكن هناك حقيقة أخرى يجب ألا تغيب عن الأذهان، وهي أن كثيرًا من رسائل العهد الجديد لم تكن موجهة إلى رجل الشارع في المقام الأول بل إلى الرجل المنتمي إلى الطائفة الدينية المسيحية(١١).

لذلك فإن منهج الترجمة الدينامية يستوجب أن يحدد المترجم قبل البدء في الترجمة نوعية القارئ الذي سيترجم له لأن لكل مقام مقالا، فأنت لا تتحدث مع أستاذ الجامعة

كما تتحدث مع طلبته، وهؤلاء لا تتحدث إليهم كما تتحدث مع الأطفال في المرحلة الابتدائية، كما أنك لا تحاور الإناث وتتعامل معهن كما تتعامل مع الذكور.

وبناء على اختلاف مستويات جمهور قراء اللغة الهدف، نادى نايدا وتابر بوجوب تعدد ترجمة النص الواحد لتتناسب مع مختلف مستويات القراء وطبقاتهم. وقد اقترحا ترجمة الإنجيل إلى أي لغة بأشكال مختلفة، بحيث تكون هناك ترجمة متقدمة بأسلوب راق فني تنقل كل الأفكار والتفاصيل والمعلومات المتضمنة، وتخصص هذه الترجمة للطبقة المثقفة التي تستطيع تجاوز العقبات الحضارية والثقافية؛ وترجمة أخرى عادية ذات تكافؤ دينامي توجه إلى طبقة القراء العاديين من عوام الناس؛ وأخيرًا ترجمة خاصة للأطفال تكون مختصرة ومبسطة(١٢).

من جانب آخر، يشير نايدا في حديثه عن التكافؤ الشكلي إلى نقطة مهمة، وهي أن منهج التكافؤ الشكلي قد يكون مقبولاً في بعض الأحيان، إلا أنه يعود ويؤكد أن الإصرار على التمسك بمنهج التكافؤ الشكلي في الترجمة رجعية ومخالفة للتوجه العام، فقد حدث تحول بارز في مطلع القرن العشرين عندما تحول اهتمام المترجمين من التركيز على البعد الشكلي في عملية الترجمة إلى البعد الدينامي. وقد استند نايدا في تصريحه هذا على نتائج استفتاء لرأي مجموعة واسعة من الفنانين والأدباء والناشرين والمربين والمترجمين المحترفين.

وقد دفع هذه التحول الأخير تجاه التوكيد المتزايد على التكافؤات الدينامية نايدا فأصبح يتهم المترجمين الذين ينتهجون الترجمة الشكلية في ترجمة النصوص الدينية بالانغلاق وضيق الأفق، حيث صرح قائلاً: "سيتقبل الناس من ذوي الثقافة العالية في العالم الغربي بسرور مثل تلك التبديلات البعيدة المدى. ولكن يبدو أن الأشخاص من ذوي التجربة الجزئية، سواء في المجتمعات الشعبية أو المجتمعات المتحضرة، يلاقون صعوبة في تقبل التراجم غير الحرفية، لأن احترامهم الحديث العهد لتعلم الكتاب المقدس يجعلهم يقفون - على ما يبدو - ضد الاستيعاب الحقيقي، ويميلون إلى تحبيذ الغموض الحرفي المتعمد. إذ إن اكتساب ثقافة ضئيلة يمكن أن يكون أمرًا خطيرًا"(١٣).

يتضح لنا من هذا التصريح الذي يتهم كل من لا يلتزم منهج التكافؤ الدينامي في الترجمة بالانغلاق والتعصب وضيق الأفق أن نايدا – وإن كان حديثه في هذا المقام موجهًا إلى مترجمي الإنجيل – يستنكر أن يصر أي مترجم على التمسك بحرفية النصوص الدينية القديمة. وهو ما يعني أن نايدا قد يستنكر أيضًا إصرار المترجمين المسلمين على التمسك بحرفية قرآنهم القديم والعتيق، لأن نايدا يؤمن بالمسلّمة القائلة بضرورة أن توافق الترجمة هذا الوقت، وليس الوقت الماضي. فهل صحيح أننا نحن المسلمين ضيقوا الأفق، وأصحاب ثقافة جزئية ناقصة، لأننا لا نترجم قرآننا الكريم ترجمة دينامية؟!.

رابعاً: مكانة النص القرآني بين النصوص الدينية:

يجدر بنا قبل المضي قدمًا في دراسة سبل إمكان إخضاع ترجمة القرآن الكريم لمنهج التكافؤ الدينامي أن نشير إلى خصوصيات النص القرآني للكشف عن وجوه الاختلاف ومكامن التميز والخصوصية لكلا النصين، القرآني والإنجيلي. فلا شك أن نوعية النصوص تحدد منهج الترجمة وطريقته، وقد جرى العرف على تقسيم النصوص إلى نصوص علمية وأدبية وقانونية ودينية وهلم جرّاً. والمعضلة التي نراها في نظريات الترجمة أنها وضعت جميع النصوص الدينية على اختلاف توجهاتها في سلة واحدة كما يظهر في تقسيم كاترينا رايس (Katerina Reiss) الثلاثي لأنماط النصوص ووظائف اللغة. ولعل مرد ذلك أن نظريات الترجمة لم تحدد معايير قدسية النصوص الدينية، بل تركت أمر تحديدها لأصحاب هذه النصوص وحدهم. ولعل سبب ذلك يعود إلى أن الغرب لا يملك نصا دينيا يتساوى في قدسيته - أو يقترب - مع قدسية النص القرآني.

من هذا المنطلق، يتوجب على منظري الترجمة الإسلاميين إعادة النظر في تقسيم النصوص، وإعادة تصنيف النصوص الدينية، خاصة أن هناك العديد من النصوص الدينية التي يدعي أصحابها قدسيتها على الرغم من اختلافها المتباين في أصولها ومواردها واتجاهاتها وأفكارها ومحتوياتها، مثل القرآن لدى المسلمين والإنجيل لدى النصارى والتوراة لدى اليهود وتعاليم بوذا لدى الصينيين. إنه لمن الخطأ الجسيم أن نترجم كل هذه النصوص بأسلوب واحد لمجرد أنها تحمل صفة القدسية، وما أدراك ما القدسية؟! حتى إن سلمنا بهذه القدسية المزعومة لبعض النصوص الدينية، فإننا لا نستطيع أن نفرض منهجية خاصة ندعي لها المثالية والكمال كما فعل نايدا عندما قام بالترويج لمكافئاته الدينامية.

إن قدسية القرآن الكريم تختلف اختلافًا جذريا عن قدسية باقي النصوص الدينية الأخرى. فالقرآن نص تعبدي يرجع إليه المسلمون يوميا في صلواتهم وأدعيتهم، ولا تجوز صلاة لا يقرأ فيها قرآن. ومما يرفع من شأن قدسية القرآن أيضًا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ربط تلاوة القرآن الكريم بالأجر العظيم والثواب المغري للحض على قراءته المتواصلة. فقراءة الحرف حسنة والحسنة بعشرة أمثالها، وهو ما يعني أن قراءة ﴿الٓمٓ﴾تعادل ثلاثين حسنة، والله يضاعف لمن يشاء بغير حساب. ويتضاعف هذا الثواب بالنسبة لغير العرب الذين لا يحسنون تلاوة القرآن، فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم: « والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران »[١٤].

ومما يميز النص القرآني - أيضًا - أنه نص أصيل موثوق في مصدره حيث توافر له من أسباب البقاء والاستمرارية ما لم يتوافر لغيره من النصوص، فقد اكتملت فيه

شروط مصداقية النقل من حفظ وتدوين وإجماع، ويكفي أن الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظه، حيث قال جل وعلا: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [الحجر: ٩]. أما إذا انتقلنا إلى النصوص الدينية المقدسة لدى غير المسلمين فإننا نجد مثلاً أن صلة الإنجيل بأصله مفقودة، وأقدم الأناجيل الموجودة ترجمات لنصوص عبرية وإغريقية، أما النص الآرامي الأصلي فقد ضاع من دون أثر يذكر(١٥). وقد أدى ضياع النص الأصلي للإنجيل أن توجه مترجمو الإنجيل في ترجماتهم نحو التركيز والاهتمام باللغة الهدف، لأنهم وجدوا في ذلك ضمانهم الوحيد لتحقيق التواصل والفهم بين القراء المسيحيين بسبب عجزهم عن الرجوع إلى النص الأصلي المفقود. وبسبب ضياع الإنجيل الأصلي أصبحت جميع ترجمات الإنجيل أناجيل مقدسة في حين ظل القرآن الكريم واحدًا لا يضاهيه نص، واعتبرت ترجماته مجرد تفاسير غير ملزمة لا تصل إلى منزلة النظم العربي الأصيل الذي نزل به القرآن الكريم.

ويتميز النص القرآني أيضًا بأنه نص تشريعي يقدم القوانين والأحكام والمبادئ والأسس التي تنظم حياة الناس، فهو يهدف بالدرجة الأولى لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور. لذلك فالقرآن يحمل رسالة عالمية لكل الناس، فهو ليس رسالة خاصة للعرب، ولا يسعى لإرضاء رغبات القراء وتلبية احتياجاتهم الخاصة. وهذا يعني أن ترجمة القرآن الكريم يجب أن تنقل كلام الله كما أراده عز وجل، وليس كما يريده الناس. فليس من المقبول أبدًا تحوير آيات تحريم الخمر والربا وتطويعها بشكل يتناسب مع رغبات واحتياجات مدمني الخمور وعشاق الربا. ويستدعي كون القرآن مصدر التشريع الإسلامي الأول وجوب توخي المترجم الحذر التام والالتزام الأمين عند نقل رسالة القرآن إلى اللغات الأخرى حتى ينال مرضاة الله ويدرأ عن نفسه سخطه، حيث يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢ ﴾[البقرة: ٤٢].

وبناء على ما تقدم فإنه يجب أن نتعامل مع ترجمة القرآن بمنهجية تختلف عن ترجمة النصوص الدينية الأخرى، كما يجب أن يكون تعاملنا مع النص القرآني في مستوى لا يقل عن تعاملنا مع النصوص القانونية التي ينصب الاهتمام فيها على الاحتفاظ بروح النص الأصلي وشكله قدر الإمكان، وذلك لما يتمتع به النص القانوني من سلطة تشريعية تترتب عليها أحكام وحقوق وواجبات. لقد منحت نظريات الترجمة الغربية النصوص القانونية قدسية من نوع خاص تفوق قدسية النصوص الدينية، فسلطة النص القانوني غاية في التقديس لأنها تلغي سلطة المترجم، وترغمه على التمسك بحرفية النص بعيدًا عن المكافئات التأثيرية والدينامية. من هنا، وطالما أن الغرب يمنح النصوص القانونية قدسية أكبر من النصوص الدينية كان واجبًا على المترجمين والمنظرين الإسلاميين إعطاء نصوص القرآن الكريم قدسية تفوق قدسية

جميع النصوص، بما في ذلك جميع النصوص الدينية والقانونية، فالنص القرآني يتفوق على النص القانوني لكونه يتمتع بجانب سلطته التشريعية بخاصية التعبد والأصالة اليقينية الحقيقية.

من هذا المنطلق فإنه يتوجب علينا أن نعيد النظر في قضية تصنيف النصوص الدينية، فنقسمها إلى نصوص دينية إرشادية ووعظية كالمؤلفات الدينية وخطب الجمعة، ونصوص دينية مقدسة وهي النصوص الإلهية الوحيية كالإنجيل والتوراة، ونصوص دينية مقدسة تشريعية كالحديث النبوي الشريف، ونصوص دينية مقدسة تشريعية وتعبدية كالقرآن الكريم. ويجب أن يخضع كل نوع من هذه النصوص الدينية عند الترجمة لمنهج خاص يتلاءم مع أهدافه ومراميه، فلا نقيد جميع هذه النصوص ونخضعها في إطار منهج واحد.

خامساً: لماذا المنهج الدينامي في ترجمة القرآن الكريم؟:

إن فكرة إمكان تطبيق مبدأ التكافؤ الدينامي في ترجمة القرآن الكريم للملايوية تقوم على أساس أن القرآن الكريم يشتمل على بعض المفاهيم الثقافية الخاصة بالعرب غير المألوفة لدى الشعب الملايوي مثل (الأنصاب، والأزلام، والبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، والشهر الحرام، والنسيء). كما يشتمل القرآن أيضًا على بعض التراكيب اللغوية التي لا يمكن فهمها دون تفكيك صياغتها الأصلية والكشف عن معانيها الثانوية الكامنة في السياق التاريخي أو الاجتماعي أو الثقافي، مثل ما جاء في ذكر يوم القيامة: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ٥٧﴾ [النجم: ٥٧]، ﴿ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤]، ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١﴾ [الواقعة: ١]، ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].

وتتزايد الحاجة إلى المكافئات الدينامية في ترجمة الأمثال والتشبيهات والكنايات مثل: ﴿غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ﴿كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا﴾ [طه: ٤٠]، ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق: ٢٢]، فهذه الآيات لا يمكن نقلها نقلاً حرفيا، بل يجب مكافأتها على أساس مبدأ التعويض والاستبدال. فترجمة التشبيه يقتضي البحث عن تشبيه آخر يؤدي وظيفة التشبيه الأول دون النظر إلى تركيبه اللغوي، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وبناء على خصوصية النص القرآني واختلاف خواص اللغة العربية عن خواص اللغات الأخرى، فقد يحدث أن يجد المترجم نفسه مضطرا في ترجمة المفاهيم الجديدة والتراكيب اللغوية الخاصة أن يتوجه للبحث عن تكافؤ دينامي لسد الفراغ الذي أخفقت الترجمة الحرفية في احتوائه.

سادساً: إشكالية الترجمة الدينامية للمفاهيم الثقافية الجديدة في القرآن:

سبق أن ذكرنا أن التكافؤ الدينامي يجيز للمترجم أن يختار ما يراه مناسبًا من المفاهيم المعروفة في ثقافة الهدف لتعويض المفهوم الغائب الذي تقدمه اللغة المصدر من أجل تحقيق تأثير النص الأصلي على قراء الترجمة، وهذا يعني أن منهج التكافؤ الدينامي يمنح المترجم سلطة عليا خاصة تفوق سلطة النص الأصلي، وحقًّا مطلقًا لا قيد فيه ولا ضابط للتصرف في النص الأصلي بطريقة قد تصل إلى حد التحريف والتشويه والعبث. وهو ما يبرر تصرف بعض المبشرين الذين حاولوا ترجمة اسم الإنجيل إلى اللغة الإندونيسية بلفظ (الكتاب)، والرب بلفظ الجلالة (الله) من أجل إشعار المسلمين الإندونيسيين بقوة العلاقة التي تربط المسيحية بالإسلام والإنجيل بالقرآن الكريم. ولا يمكن أن نتصور أن القرآن الكريم يمكن أن يترجَم إلى العالم المسيحي باسم (الإنجيل المسلم) بمجرد أننا نرغب في إشعار القراء في أوروبا بقوة العلاقة التي تربط الإسلام بالمسيحية.

إن مما يؤخذ على منهج التكافؤ الدينامي أن نايدا لم يحدد ضوابط موضوعية وواضحة لما يمكن تطويعه وتحويره، فقد فتح باب التصرف للمترجم على مصراعيه، وأعطاه صلاحية مطلقة لتطويع ما يراه مناسبا، وجعل مقياس هذا التطويع حس المترجم وذوقه الشخصي فقط. وبناء على هذه الصلاحية المطلقة فإن منهج التكافؤ الدينامي يجيز أن نترجم للملايوية (الجمل) إلى (الفيل) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وذلك لعدم وجود الجمل في البيئة الملايوية. وبما أن المعنى الوظيفي للفظ (الجمل) في هذه الآية هو الكبر والضخامة، فإن (الفيل) يصبح أنسب الحيوانات الموجودة في البيئة الملايوية لأداء المعنى الوظيفي للجمل في هذه الآية. كما يمكن أن نترجم (الحمار) إلى (البقرة) في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة: ٥]، وذلك لأن الحمار لا يعيش في البيئة الملايوية، ومن جانب آخر فإن العرف الملايوي جرى على وصم البقرة دون غيرها من الحيوانات بالغباء الشديد واللامبالاة المطلقة.

ويمكننا أن نلمس المعنى الوظيفي الذي يعجز التكافؤ الشكلي عن نقله أيضًا في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ [محمد: ١٥]. فالمشروبات التي أوردها القرآن هنا من لبن وخمر وعسل ليست من أوليات مشروبات الرجل الملايوي العادي، فلا تثير له لعابًا ولا تحقق له متعة ولذة. بل حتى الماء، رغم أهميته في البقاء، متوفر في كل مكان في البيئة الملايوية بخلاف الصحراء، ولا يقدر الماء حق قدره إلا من حرم منه. ونظرا إلى أن المعنى الوظيفي لهذه المشروبات هو تقريب معنى نعم الجنة الحقيقية - مما لا عين

رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر - فإن منهج التكافؤ الدينامي يجيز للمترجم مكافأة هذه المشروبات بالمشروبات المفضلة في الثقافة الملايوية.

ولا يقف هذا التحوير والتطويع عند حد الترجمة فحسب، بل يمكن إحداث التغيير في التراكيب والنظم اللغوية للقرآن من دون ترجمة. فالقرآن الكريم وإن كان نزل باللغة العربية إلا أنه لا يمثل الثقافة العربية وحدها، فالمشكلات الثقافية الواردة في القرآن الكريم ليست قاصرة على غير العرب فحسب، بل هي حاضرة حتى في ثقافة العرب أنفسهم. فقد ورد في القرآن الكريم بعض المفاهيم التي استغلقت على الصحابة رضوان الله عليهم، وهم الفصحاء النجباء أبناء الفصحى الخالصة الذين لم يتأثر لسانهم بعجمة أو لحن، فقد روي عن أنس أنه لما قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾ [عبس: ٣١] قال: عرفنا ما الفاكهة، فما الأبّ(١٦)؟ وبناء على غرابة مفهوم الأبّ، فإن التكافؤ الدنيامي يجيز للقارئ العربي أن يعوض الأبّ بمادة أخرى من مأذاته الكبرى. وعلى صعيد آخر، نجد أن القرآن يستخدم تشبيهات غير مرئية لا يستطيع أحد أن يصل إلى حقيقة معناها، منها قوله تعالى في وصف شجرة الزقوم: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥﴾ [الصافات: ٦٥]، فلا أحد من العرب أو غير العرب يستطيع أن يدرك المعنى الحقيقي لشكل رؤوس الشياطين، وبما أن الغرض من هذا التشبيه المبالغة في وصف بشاعة وقبح هذه الشجرة، فإن مبدأ التكافؤ الدينامي يجيز البحث عن بديل آخر لصورة معروفة للعيان تمثل شدة البشاعة والقبح.

مما لا شك فيه أن مترجمي القرآن الإسلاميين لن يقبلوا بأي حال من الأحوال اعتماد منهج التكافؤ الدينامي بهذه الطريقة في ترجمة المفاهيم الثقافية الجديدة الواردة في القرآن؛ لأن مبدأ التكافؤ الدينامي بهذه الصورة لن يكون أكثر من تحريف صريح وتشويه متعمد لكلام الله عز وجل، الأمر الذي ترفضه الشريعة الإسلامية الغراء ويأباه المسلمون كافة. ولم يحرم جمهور علماء المسلمين الترجمة بالتأويل إلا لأنها يمكن أن تقود إلى التحريف والتبديل والتشويه، وهو ما تدعو الترجمة الدينامية إليه صراحة وجهارًا.

أما على الصعيد الأوروبي، فقد انهالت انتقادات حادة من بعض رجالات الكنيسة والمبشرين والمترجمين على المنهج الدينامي الذي لم يحدد ضوابط التصرف في ترجمة النصوص الدينية، فجنتزلر (Gentzler) في كتابه (نظريات الترجمة المعاصرة) يستنكر أن يُقْدِم نايدا في إطار المذهب البروتستانتي على ترجمة الإنجيل بالتطويع المطلق. كما هاجمت بعض الجماعات الدينية تطويع نايدا للكتاب المقدس بما يتطلبه مبدأ التكافؤ الدينامي، واعتبروا ما قام به نايدا من باب العبث بكلمات الله مما يستوجب الإدانة(١٧). ولكن على الرغم من هذه الانتقادات العنيفة التي تصدت لمنهج التكافؤ

الدينامي فقد استطاع نايدا أن يدافع عن منهجه الجديد ويؤثر في كثير من المترجمين والباحثين من بعده.

إن المشكلة التي أثارها نايدا في قضية الاختلافات الثقافية التي يعجز التكافؤ الشكلي عن وصفها ونقلها بصورة صحيحة ومؤثرة إلى اللغة الهدف تقوم في حقيقة الأمر على افتراض ذاتي يقول بعدم قدرة أصحاب اللغة الهدف على فهم المستجدات الثقافية لدى الشعوب الأخرى. فنايدا عندما أثار قضية عدم قدرة قوم المايا على فهم حقيقة معنى شجرة التين، وعدم قدرة سكان غابة الأمازون على فهم حقيقة معنى الصحراء، وعدم قدرة هنود جزيرة يوكاتا على فهم حقيقة معنى الجبل، لم يذهب إلى هؤلاء الأقوام ولم يجر أي دراسة علمية منهجية لقياس قدرتهم على فهم واستيعاب هذه المفاهيم، بل اكتفى ببناء رؤيته الشخصية على افتراضه الذاتي. وقد استنكر مونان هذا الافتراض الذي ينكر إمكان حدوث التبادل الثقافي بين الشعوب واللغات، وذهب إلى تأكيد حقيقة مهمة وهي تعود إلى أن تقبل اللغة الهدف للثقافات الجديدة الوافدة من اللغة المصدر يعتمد على نسبة الاحتكاك بين شعبي هاتين اللغتين وطول مدى هذا الاحتكاك(١٨).

أما نيومارك فلا يرى صعوبة حقيقية في ترجمة مظاهر البيئة ولو كانت المظاهر البيئية شاذة وغير معروفة. فهو يرى أن التلفزيون وسيلة إيضاح كافية في جميع أنحاء العالم(١٩).

من جهة أخرى، قد فات نايدا حقيقةٌ مهمة وهي أن المفاهيم الثقافية الغائبة عن بيئة ما لن تكون غائبة بالضرورة عن هذه البيئة للأبد. بمعنى أنه ما لم يكن موجودًا أصلاً في ثقافة ما لا يعني بالضرورة أنه سيبقى غير مفهوم أبدًا لدى أبناء تلك الثقافة، لأن تزايد الاحتكاك بين الأمم والشعوب يمكّنهم تدريجيا من ملاحظة الفروق الثقافية فيما بينهم، ومن ثم قبولها أو الاعتراف بها في آخر المطاف. فالملايويون الذين استكثر عليهم نايدا معرفة مفهوم الثلج والصحراء في العصور القديمة بسبب غيابهما عن بيئتهم، أصبحوا اليوم يستخدمون الثلج والصحراء في تعبيراتهم اليومية، حتى أصبح من المألوف اليوم أن تسمع عبارات مثل: (putih bagai salji) بمعنى (أبيض كالثلج)، و(luas bagai padang pasir) بمعنى (واسع كالصحراء).

ومن المآخذ أيضًا على منهج التكافؤ الدينامي أنه يسعى إلى تجنيب القراء وإعفائهم من إجهاد فكرهم وإعمال عقلهم في فهم النص المترجم، فهو يريد أن يقدم لقراء اللغة الهدف كل شيء جاهزًا وميسرًا. وفي سبيل تحقيق ذلك نادى نايدا بضرورة إلغاء وتجاوز الاختلافات والفروق الثقافية بين الشعوب، فأي مفهوم جديد يتم محورته

وتطبيعه وإعادة تصويره وصياغته بما هو مألوف. ونسي نايدا أن هذه المفاهيم الوافدة يمكن أن تكون من أهم عناصر النص الأصلي، مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج في القرآن الكريم. فالمسلم لا يمكنه أن يطّبّع مفهوم الصلاة مثلاً بالطقوس الدينية والروحانية المألوفة في ثقافات الشعوب المختلفة. لذلك فقد عمدت جميع اللغات الإسلامية إلى اقتراض مفاهيم الصلاة والصوم والزكاة والحج بألفاظها العربية وضمها في قاموسها لتحمل المعنى الحقيقي للمفاهيم الإسلامية الجديدة الوافدة، والتي تمثل أركان الإسلام الرئيسة التي لا يقوم للدين شأن من دونها.

إن التخوف الشديد والمبالغ فيه من عدم قدرة قراء اللغة الهدف على فهم الأفكار والمفاهيم الجديدة يعد في حقيقة الأمر إهانة صريحة لهؤلاء القراء. وقد أشار نيومارك إلى نقطة مهمة في كيفية التعامل والتواصل مع جمهور اللغة الهدف، وهي عدم الاستخفاف بذكاء القارئ. فعلى المترجم ألا يجعل تعامله مع القراء كتعامله مع الجاهل الذي يخشى عليه دوما من سوء الفهم وضياع المعنى. وقد رفض نيومارك الرأي الذي يقول بأنه كلما قل ما يبذله القارئ من جهد كانت الترجمة أفضل، فهو يرى أن "المعنى معقد ومتعدد المستويات، وهو شبكة من العلاقات تشبه في تعقيدها قنوات التفكير في الدماغ. وكلما زاد الاتصال والتعميم والتبسيط نقص المعنى. والمرء أشد ما يكون وعيًا بالمعنى حين يفكر، أو حينما يكلم نفسه بصمت"(٢٠).

ومن أهم الانتقادات التي وجهت لنايدا شخصيا أنه اتبع في منهجه الدينامي اتجاهًا سلوكيا، فهو يرى أن هدف الترجمة يكمن في تحقيق المثير والاستجابة المتماثلين. وهو قول فيه من الغموض والإبهام ما فيه، فبعض الباحثين يرون استحالة تحقيق الاستجابة المماثلة لدى قارئ النص المترجم وقارئ النص الأصلي بسبب اختلاف الإطار الثقافي والتاريخي والاجتماعي للنصين. ويستبعد فان دن بروك (Van den Broeck) ولاروز (Larose) إمكان تحقيق التأثير المماثل، إذ كيف يمكن قياس ذلك التأثير؟ ومن هم القراء الذين يتأثرون؟ وكيف يمكن للنص أن يحدث التأثير المماثل في قراء ينتمون لثقافات مختلفة وأوقات مختلفة؟ إضافة إلى أن مسألة التأثير المماثل تتضمن حتمًا بعض الأحكام الذاتية من جانب المترجم أو من يتولى تحليل النصوص المترجمة(٢١).

من جانب آخر، ينتقد نيومارك فكرة أولوية التكافؤ الدينامي على التكافؤ الشكلي، ويرى استحالة الفصل بين التكافؤين لأنه لا يمكن الفصل بين المعاني الدلالية والمعاني السيميائية. ولا بد من إعطاء الاهتمام نفسه للشكل والمضمون، بمعنى أن المضمون والأسلوب مثل اللغة والثقافة لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض. وهو ما يعني أن المكافئ الدينامي لا يكون له وجود عند غياب المكافئ الشكلي(٢٢).

سابعًا: هل تغني الترجمة التفسيرية عن الترجمة الدينامية؟:

في سبيل الخروج من مأزق الترجمة الدينامية أو التأويلية وما يمكن أن تجره على النص الأصلي من ويلات التحريف والتشويه، اقترح مترجمو القرآن المخلصون اعتماد الترجمة التفسيرية منهجًا في ترجمة القرآن. فالترجمة التفسيرية كما يراها العلماء المسلمون تعني شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، فالمفسر في هذه الحالة إنما يتكلم بأسلوب المبين للكلام على حسب فهمه، وكأنه يقول للناس: هذا مفهوم الآية لدي. أو بعبارة أخرى، يمكننا أن نقول بأن الترجمة التفسيرية هي ترجمة لفهم شخص، ولا تتضمن وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن، وإنما تتضمن ما أدركه المفسر أو المترجم منها(٢٣).

وقد لاقى منهج الترجمة التفسيرية استحسان جمهور العلماء لأسباب عدة، أهمها أنه يرفع التوهم أن تكون الترجمة هي القرآن نفسه. إضافة إلى أن منهج التفسير يستطيع أن يحل إشكالية نقل المفاهيم الخاصة في القرآن والتي تعجز الترجمة الحرفية عن أدائها، وفي هذا الصدد يقول النسفي: لا حاجة إلى نزول القرآن بجميع الألسنة لأن الترجمة التفسيرية تنوب عن ذلك(٢٤).

لا شك أن القرآن الكريم يشتمل على كثير من الألفاظ والتراكيب التي لا يمكن فهمها من خلال ظاهر معناها، الأمر الذي يؤكد استحالة الاعتماد الكلي في ترجمة القرآن على المنهج الحرفي وحده. ولعل سبب ذلك يعود إلى ترابط النظْم القرآني بالمعنى، وترابط معانيه الأصلية بالمعاني التابعة لها أو الثانوية، ذلك لأن القرآن في استخدامه للألفاظ والتراكيب يلجأ في بعض الأحيان إلى المعنى الظاهر في اللفظ، وأحيانًا إلى المعنى التابع والثانوي المستفاد من خصائص التركيب البياني العربي. فمثلاً لا يشير القرآن صراحة إلى العملية الجنسية ترفعًا عن الابتذال والإسفاف، وإنما يكتفي باستخدام بعض الكنايات المختلفة للتعبير عنها، مثل الملامسة، والتماس، والرفث، والتغشية. ومن هنا فإن ترجمة هذه الكنايات بمعناها الأصلي قد لا يكشف عن المراد الحقيقي الذي قصده القرآن الكريم. ففي الآية الكريمة: ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: ٤٣]، اختلف المفسرون في تفسير (لامستم)، فقال ابن عباس هو الجماع(٢٥). وذهب آخرون إلى أن معنى (لامس) يفيد معناه الحقيقي وهو: ماسستم بشرتهن ببشرتكم، وبه اختار الشافعي أن اللمس ينقض الوضوء(٢٦)، وقد ترجم المترجمون الملايويون الشوافع (لامس) في هذه الآية إلى (sentuh) بمعنى (اللمس) - اقتداء بالشافعي رحمه الله - على الرغم أن وزن (لامس) يفيد معنى المشاركة بين طرفين، مثله مثل (التماس) في قوله تعالى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ [المجادلة: ٤]، وهو ما لا نجده في الفعل (لمس).

من هنا فإنه لا يمكن أن تستقيم معرفة معاني النص القرآني دون تكامل المعاني الأصلية والثانوية أو التابعة. فلو أراد مترجم أن يترجم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩] ترجمة حرفية، وذلك من خلال ترجمة المعاني الظاهرة والأصلية، لأتى بكلام مستنكر ومثير للغرابة والضحك يفيد النهي عن ربط اليد في العنق وعن مدها غاية المد. ولا يعقل أن القرآن الكريم قصد هذا المعنى المتهافت، لأنه لا يوجد عاقل يفعل ذلك بنفسه. أما إذا نظر المترجم إلى المعاني التابعة والثانوية المتضمنة في التشبيه البليغ الوارد في الآية الكريمة لتوصل إلى معنى النهي عن التبذير والإسراف.

ونظرًا لاستحالة نقل المعاني الثانوية نقلاً حرفيا واختلاف خواص اللغة العربية عن خواص اللغات الأخرى، فقد أجمع علماء المسلمين على رفض وإدانة الترجمة الحرفية، والتي تعني – في عرفهم - "نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغة الأخرى بحيث يكون النظم موافقًا للنظم القرآني والترتيب موافقًا للترتيب القرآني"(٢٧)، ويعلل الذهبي مذهب جمهور علماء المسلمين في تحريم الترجمة الحرفية للقرآن الكريم باستحالة النقل التام للأصل في اللفظ والأسلوب والمعنى، لذلك فهو يؤكد بأن ترجمات القرآن الكريم ليست أكثر من مجرد تفاسير، تقوم بشرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى(٢٨).

ويأتي ربط علماء المسلمين الترجمة بالتفسير في سياق أن الترجمة تتساوى مع التفسير بحكم طبيعتها التي تسمح بظهور أكثر من نص واحد مقبول. فظهور التفاسير الكثيرة عبر الحقب الزمنية لتاريخ الإسلام لم يكن إلا وليد تعدد واختلاف نظرة المفسرين الشخصية والذاتية التي عكست اتجاهاتهم الفردية في فهم آيات القرآن الكريم. ولعل في ذلك ما يمنع أن تكون الترجمة بديلاً مطلقًا للأصل لأنها لا بد أن تتأثر بالخصائص الذاتية للمترجم، فالمترجم لا يمكن أبدًا أن يكون وسيطًا محايدًا. وبما أن عملية استنباط معنى النص المصدر هي الأساس في عملية الترجمة، يصبح المترجم المسؤول الأول والأخير عن تحديد المعنى؛ لأن النص المصدر لا يتم اكتشاف معناه إلا من خلال المترجم وحده. فالمترجم عندما يتصدى لعملية الترجمة إنما ينظر إلى النص من منظوره الشخصي الأمر الذي لا بد وأن يصبغ الترجمة بأثره وفهمه الخاص بناء على مجموع الخبرات والمعارف والثقافات التي تراكمت في ذهنه أثناء عملية الترجمة. ويرى رابASA (Rabassa) أن المترجم حين يواجه عددًا من الخيارات اللفظية والتركيبية والأسلوبية فإنه في ذلك الحين يحكم ذوقه الشخصي، ويقرر ما يتلاءم مع ذوقه(٢٩). أما جنتزلر (Gentzler) فيقرر أن الأصل، رغم كونه واحدًا فقط، لا يمكن أن تكون له ترجمة واحدة فحسب، ومن الطبيعي أن نجد للأصل ترجمات متعددة ومتباينة في الأسلوب والاتجاه باختلاف القائمين عليها(٣٠).

ومما يؤكد رسوخ منهج الترجمة التفسيرية للقرآن الكريم أن بعض مترجمي القرآن يؤكدون ويصرحون بأن ترجماتهم لا تخرج عن مفهوم التفسير، فالمترجم أربيغ (Irving)، وهو مترجم مسلم أمريكي، يؤكد بأن ما يحاول تقديمه للقراء من خلال ترجمته لآيات القران ليس ترجمة بل تفسيرًا متواضعًا لمن يرغب في الاطلاع على مضمون القرآن الكريم باللغة الإنجليزية(٣١).

ويمكن أن نلمس العلاقة الوطيدة التي تجمع الترجمة بالتفسير عند مقارنة الترجمات الملايوية المختلفة للقرآن الكريم، فنجد على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أن المترجمين اختلفوا في ترجمة كلمة (القروء)(٣٢)، فعبد الله باسميح(٣٣) ومحمود يونس(٣٤) يترجمان القرء إلى (suci) بمعنى الطهر، في حين أن عبد الرؤوف السنكيلي(٣٥) يترجمه إلى (suci dan haid) بمعنى الطهر والحيض معًا. ونضرب مثالاً آخر لاختلاف رؤية المترجمين للمعاني في ترجمة الآية الكريمة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧]، فمحمود يونس ترجم كلمة (غير) باعتبارها بدلاً للضمير المجرور في (عليهم)، فجاءت ترجمته على النحو التالي(٣٦):

“sedang mereka itu bukan orang-orang yang dimurkai dan bukan pula orang-orang yang sesat”

بمعنى (صراط الذين أنعمت عليهم وهم ليسوا بالمغضوب عليهم ولا هم بالضالين). في حين أن عبد الله باسميح اعتبرها بدلاً للفظ (الصراط)، فترجم الآية إلى(٣٧):

“bukan (jalan) orang-orang yang telah ngkau murkai, dan bukan pula (jalan) orang-orang yang sesat”

بمعنى (صراط الذين أنعمت عليهم غير صراط المغضوب عليهم ولا صراط الضالين).

ثامنًا: مآخذ على الترجمة التفسيرية للقرآن الكريم:

قد يبدو لكثير من الباحثين أن الترجمة التفسيرية يمكن أن تمثل المخرج السليم لحل إشكالية إخفاق الترجمة الحرفية في إنتاج ترجمة مرضية للقرآن الكريم إلا أن الترجمة التفسيرية في الحقيقة لا تكاد تخلو من انتقادات، أولها أن مفهومَها يشوبه شيءٌ من الغموض.

إن المتتبع لتاريخ حكم ترجمة القرآن الكريم وتطوره يرى أن العلماء المسلمين الذين ذهبوا إلى تحريم ترجمة القرآن الكريم إنما كانوا يقصدون ترجمته بوصفه النقل

التام للشكل والمعنى لغرض توليد نص جديد مماثل وبديل للأصل. والغريب في الأمر أنهم ربطوا علة التحريم بالترجمة الحرفية بحجة أنها تسعى إلى تقليد النص المصدر وإنتاج نص مطابق له تتحقق فيه جميع خصائصه. ويتضح بجلاء اللبس في هذا الاستدلال؛ لأن صورة الترجمة الحرفية المشوشة والمستنكرة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تولد نصا يرقى لمستوى البديل المماثل. فالترجمة الحرفية، التي لا تتم إلا على حساب التأثير، لا يمكن أن تحظى بقبول قراء اللغة الهدف لما يشوبها من غرابة الأسلوب وتهافت الترابط بسبب تأثرها الشديد بلغة المصدر.

من جانب آخر، التبس على بعض العلماء المسلمين فهم حقيقة ظاهرة الترجمة المعقدة، وذلك عندما بسطوا مفهوم الترجمة واختزلوا مناهجها في قسمين لا ثالث لهما: الترجمة الحرفية والترجمة المعنوية أو التفسيرية(٣٨). ثم قاموا بناء على هذا التقسيم بحصر عملية اختيار منهج الترجمة بين الحرفية والتفسيرية. وعندما أثبتوا فشل الترجمة الحرفية في تقديم ترجمة مرضية لم يجدوا بُدا من اللجوء إلى الترجمة التفسيرية باعتبارها الحل الوحيد والأخير.

واللافت للانتباه أن العلماء المسلمين الذين يرون تحريم ترجمة القرآن يقرون بوجود جوانب في القرآن الكريم يمكن ترجمتها حرفيا، وذلك عندما قسموا معاني النص البليغ إلى معاني أصلية وأخرى ثانوية، فالمعاني الأصلية هي التي يستوي في فهمها كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة، وعرف وجوه تراكيبها معرفة إجمالية. أما المعاني الثانوية فيراد منها خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام وبها كان القرآن معجزًا(٣٩). والعجيب في الأمر أنه على الرغم من تغلب المعاني الأصلية في القرآن الكريم على المعاني الثانوية فقد اتخذ بعض العلماء اشتمال النظم القرآني على المعاني الثانوية مدعاةً لتحريم ترجمة القرآن. أما المعاني الأصلية التي أجازوا ترجمتها فقد اشترطوا ترجمتها ترجمة تفسيرية على الرغم من إمكان ترجمتها في معظم الأحيان ترجمة حرفية.

وعلى صعيد آخر، يظهر لنا أن علماءنا الأوائل عندما تحدثوا عن الترجمة الحرفية إنما كانوا يقصدون ما يعرف اليوم بمفهوم (الترجمة كلمة بكلمة)، وهي التي تعنى بتحويل جميع كلمات اللغة المصدر بترتيبها وقواعدها إلى اللغة الهدف. وهي تختلف اختلافًا جذريا عن الترجمة الحرفية بالمفهوم الحديث، إذ تعني الترجمة الحرفية ترجمة المعاني الأساسية لجميع مفردات النص الأصلي كما لو كانت خارج سياقها مع مراعاة الأبنية النحوية للغة الهدف. وهذا يعني أن الترجمة الحرفية ليست بتلك الصورة البشعة التي يتصورها كثير من الناس لأن شعارها الأمانة في نقل دلالات النص الأصلي بأسلوب يتناسب مع أسلوب اللغة الهدف. لذلك فإن نيومارك يؤكد أنّ على الترجمة

الحرفية أن تكون إجراء الترجمة الأساسي في كل من الترجمة المعنوية والتخاطبية وذلك في أن الترجمة تبدأ من هناك. لكنه يعود ويقر بأن الترجمة الحرفية تصبح صعبة وبشكل متزايد فوق مستوى الكلمة(٤٠).

مما يؤخذ على العلماء المسلمين في تنظيرهم لعملية سير ترجمة القرآن الكريم أنهم أرادوا أن تكون ترجمة القرآن تفسيرًا محضًا حتى يدفعوا شبهة التطابق التام بين الأصل وتقليد القرآن الكريم. وفي سبيل هذا الهدف قاموا بإلغاء الترجمة الحرفية بشكل قاطع وجعلوا الترجمة بأكملها تفسيرًا مطلقًا. والحقيقة التي تؤكدها نظريات الترجمة أن الترجمة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون نصا مطابقًا للأصل مطابقة تامة، فمن المسلم به أن أي بلاغ يفقد أثناء عملية التواصل جزءًا من مضمونه، وهو ما يسمى في الفيزياء بالأنتروبيا(٤١). فإذا كان التواصل العادي لا يتحقق بشكل كامل، فكيف يمكن للترجمة - وهي أشد تعقيدًا - أن تحقق التطابق التام؟! من هذا المنطلق يصبح فقدان جزء من المعنى في عملية الترجمة أمرًا طبيعيا لا مفر منه. ويؤكد مونان أنّ الترجمة غير مستحيلة وغير ممكنة على الدوام، بل هي ممكنة بمقدار معين وفي حدود معينة(٤٢). أما لافيفر (Lafever) فيرى أن الترجمة ليست تبديلاً للنص الأصلي بمقتضى قوانين ثابتة محددة، وإنما إعادة صياغة للنص المصدر واستغلاله لصالح القراء الجدد(٤٣). ويؤكد ستاينر (Steiner) بأن الرفض التام لشرعية الترجمة بحجة أنها لا يمكن دومًا أن تتحقق على وجه الكمال أمر مبالغ فيه(٤٤).

لقد تسبب منهج الترجمة التفسيرية المطلقة لترجمة القرآن الكريم في خلط المفاهيم، حتى أصبحت الترجمة وكأنها هي التفسير، وأصبح التفسير وكأنه هو الترجمة. فعلى الرغم من الترابط الوطيد بين الترجمة والتفسير إلا أنه لا يجوز الخلط بينهما بدون حد فاصل، فمتى كانت (ترجمة معاني القرآن) هي نفسها ترجمة (تفسير ابن كثير) أو (ترجمة في ظلال القرآن)؟! إن زونج (Zhong) يرى أن الحد الفاصل بين المترجم والمفسر أن المترجم لا يكون مفسرًا إلا في ظروف معينة فقط، فهو ليس مفسرًا على الدوام، وإنما يكون مفسرًا في حالة إخفاقه في إدراك حقيقة مقاصد النص المصدر فيضطر إلى اللجوء إلى الحلول اللغوية مثل الترجمة المباشرة أو التحويرية أو التوضيح في الهامش(٤٥).

تاسعاً: **نحو إعادة صياغة المنهج الدينامي في ترجمة القرآن**:

سبق أن بيّنا بأن منهج التكافؤ الدينامي لا يمكن أن يمثل الحل الأمثل للتغلب على الاختلافات الثقافية واللغوية لأنه يمكن أن يتسبب في تحريف النص الأصلي وتشويهه لغياب الضوابط الواضحة لحدود التصرف والتطويع. ونظرًا لذلك تصبح الترجمة التفسيرية البديل الشرعي والطريق المثالي لشرح وبيان الاختلافات الثقافية واللغوية بين

النص القرآني وترجماته. بيد أن الترجمة التفسيرية لا تصلح أن تكون أساس ترجمة القرآن الكريم لأن التفسير متشعب لا يمكن حصره والوقوف على جميع جوانبه، فاعتماد الترجمة التفسيرية المطلقة في ترجمة القرآن الكريم سيولد ترجمة ضخمة لا تتناسب وحجم القرآن الحقيقي.

من هذا المنطلق فإنه يتوجب علينا إعادة النظر في كلا المنهجين الدينامي والتفسيري. فعلى الرغم من الانتقادات الحادة الموجهة للمنهج الدينامي في ترجمة النصوص الدينية إلا أن ذلك يجب ألاّ يقودنا إلى رفض مبدأ التكافؤ الدينامي جملة وتفصيلا، لأن التكافؤ الدينامي وإن كثرت عيوبه يمكن أن يقدم بعض الحلول المقنعة والمرضية إذا تم ضبطه وتقنينه. ولعل من الجدير أن نشير هنا إلى أن الخطأ الفادح الذي وقع فيه نايدا في منهجه الدينامي يكمن في عدم تحديد ضوابط التصرف والتطويع والتحوير، وذلك عندما أعطى المترجمَ حرية مطلقة في التصرف في محتوى النص الأصلي كما يحلو له دون قيد وضابط.

مما لا شك فيه أن الحرية المطلقة تؤدي دومًا إلى الفوضى والانحلال، لذلك فإن نحن قيدنا المنهج الدينامي وحددنا ضوابطه وحدوده، فإننا نستطيع أن نعتبر الترجمة الدينامية شكلاً من أشكال الترجمة التفسيرية. ويتحدد الفرق بين الترجمتين الدينامية والتفسيرية أن الأولى تقوم باستبدال كلمة أو عبارة بأخرى لتتناسب مع ثقافة اللغة الهدف، في حين أن الأخيرة تقوم بشرح وبيان تلك الكلمة أو العبارة دون تقديم البديل اللغوي. وهذا يعني أن الترجمة الدينامية تقوم على أساس مبدأ التعويض والاستبدال، بينما تقوم الترجمة التفسيرية على أساس الشرح والتوضيح.

وتظهر أهمية الحاجة إلى تقنين المنهج الدينامي والتفسيري لأننا لا نستطيع أن نعتمد في ترجمة القرآن على الترجمة الحرفية اعتماد كليا، فالترجمة الحرفية لا تقدم ترجمات مرضية على الدوام، وعندئذ تصبح الترجمة التفسيرية والدينامية المقننة الحل الأمثل لنقل ما تعجز الحرفية عن نقله. ومما يؤكد إمكان اللجوء إلى الترجمة الدينامية المقننة أن التأويل في تفسير القرآن الكريم ليس محرمًا في مجمله تحريمًا مطلقًا، وإنما يقتصر التحريم فقط على التأويل بالرأي والهوى الذي لا يستند إلى علم ودراية. أما إذا كان التأويل مبنيا على أقوال جمهور المفسرين التي لا تخالف الأصول الصحيحة في تفسير القرآن الكريم وبيان هديه وأحكامه فإنه يكون مقبولاً وجائزًا، الأمر الذي يجعل ترجمة التأويل أو الترجمة التأويلية مقبولة وجائزة بشرط أن يترافق ظهورها مع الترجمة الحرفية للنص القرآني. فلا ضير إذن في ترجمة قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١ – ٣]، أن نترجم (والتين والزيتون) ترجمة تأويلية إلى (Demi Baitul Maqdis) بمعنى (وبيت المقدس)، لأن المعنى لا يستقيم

مع النسق البلاغي إذا فُسّر التين والزيتون بمعناهما الحقيقيين، وهذا هو رأي جمهور المفسرين، إذ كيف يقسم الله سبحانه وتعالى بفاكهتين، ثم يتبعهما بمكانين مقدسين؟! بيد أن ترجمة هذه الآية لا يمكن أن تنفرد بالترجمة الدينامية أو التأويلية فقط، بل يجب أن يأتي ذكرها بعد الترجمة الحرفية للتين والزيتون، ثم يأتي شرح العلاقة الدينامية بين (التين والزيتون) و(بيت المقدس) من خلال المنهج التفسيري في هامش الصفحة لدفع اللبس وعدم الخلط بين المعنى الأصلي والتأويل. وفي هذه الحالة تصبح الترجمة الدينامية شكلاً من أشكال الترجمة التفسيرية لأنها تأتي مكملة للترجمة الحرفية، أما التحريم فيقع إذا ما جاءت الترجمة الدينامية منفردة وكأنها تحمل المعنى الوحيد والنهائي للنص القرآني.

وإذا انتقلنا إلى ترجمة المعاني الوظيفية لألفاظ النص القرآني، فإن الترجمة الدينامية تستطيع في بعض الأحيان أن تقصي الترجمة الحرفية وفق شروط معينة. بمعنى آخر، يمكن أن تنفرد الترجمة الدينامية بنقل المعنى الوظيفي للفظ القرآني من دون ذكر الترجمة الحرفية للمعنى الأصلي على الإطلاق. ويمكن أن يتم ذلك في حالة إذا ما استقر المعنى الوظيفي في الأذهان وأصبح مع كثرة التداول جزءًا من المعنى الأصلي. ويمكن أن نلحظ في ترجمة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الإندونيسية) كثيرا من الأمثلة لنقل المعنى الوظيفي من دون اللفظ، وهو يؤكد أهمية التكافؤ الدينامي المقنن والمنضبط في تجاوز العقبات اللغوية والثقافية بين اللغات. ففي قوله تعالى: ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ [النساء: ٤٣] ترجم المجمع لفظ (الغائط) إلى (temapat buang air) بمعنى (مكان قضاء الحاجة)، ولم تأت أي إشارة إلى المعنى الأصلي للغائط الذي يعني ما انخفض من الأرض، حيث كان من عادة العرب أن تقصد الموضع المنخفض لقضاء حاجتها تسترًا من أعين الناس. إن نقل المعنى الوظيفي للغائط دون المعنى الأصلي فيه شيء من الدينامية في الترجمة، لأنه قد يستغلق المعنى على الأذهان إذا ما ترجمنا (أو جاء أحدكم من الغائط) إلى (أو جاء أحدكم من المكان المنخفض).

وتتزايد الحاجة إلى التكافؤ الدينامي عند ترجمة الأمثال والتشبيهات والكنايات، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ [هود: ٧٧] ترجم المجمع عبارةَ (وضاق بهم ذرعًا) إلى (dia merasa sempit dadanya)، بمعنى (وضاق صدره بهم). فهذه الترجمة الدينامية المقننة أجازت ترجمة الذرع أو الذراع بالصدر رغم الفارق البين بين المعنيين، وذلك لأن استعمال الذرع لم يأت إلا على وجه التمثيل، فقصير الذراع لا ينال ما يناله طويل الذراع ولا يطيق طاقته. وبما أن اللغتين العربية والملايوية لا تشتركان في هذا الاستعمال يصبح تعبير (ضيق الصدر)

أفضل المكافئات الدينامية التي يمكن أن تؤدي المعنى المقصود مع الحفاظ على الصيغة البلاغية للآية الكريمة. وإليك مثال آخر في ترجمة قوله تعالى: ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ﴾ [طه: ٤٠]، فقد ترجم المجمع عبارة (تقر عينها) إلى (senang hatinya) بمعنى (يطمئن قلبها)، لأن الثقافة الملايوية لا تقبل ربط وصف الرضا والاطمئنان بالعين، وإنما تربطه بالقلب فحسب.

وفي إطار ترجمة المعنى الوظيفي أيضا، يجيز المجمع ترجمة التشبيه إلى لفظ خال من التشبيه بشرط أن يؤدي المعنى الوظيفي للتشبيه. ويظهر ذلك في ترجمة قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥]، فقد ترجم المجمع (سنشد عضدك) إلى (Kami akan membantu mu) بمعنى (سنساعدك) وهي ترجمة دينامية جردت التعبير القرآني من التشبيه، وألحقته بالمعنى المجرد بسبب غياب مكافئ التشبيه القرآني في اللغة الملايوية.

وأخيرًا وعلى الرغم من تقنين المجمع لاستخدام المنهج الدينامي في ترجمة النص القرآني فإننا نستطيع أن نلمح في ترجمته بعض الترجمات الدينامية المثيرة للجدل، فعلى سبيل المثال، ترجم المجمع حديث يوسف عليه السلام مع إخوته في قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾ [يوسف: ٩٣] إلى (pergi lah kamu dengan membawa baju gamisku ini, lalu letakkanlah dia ke wajah ayahku, nanti ia akan melihat kembali)، بمعنى (اذهبوا واحملوا قميصي هذا، ثم ضعوه على وجه أبي، وسوف يرى من جديد). وتظهر الترجمة الدينامية هنا في ترجمة الفعل (ألقوه) إلى الفعل (ضعوه)، فهذا تطبيع واضح وتحوير متعمد لأن المعاجم العربية لم تجمع قط بين الفعلين (ألقى ووضع)، والفرق بينهما جلي وواضح، فالأول يحمل معنى الرمي، والثاني يحمل معنى الإلصاق والتغطية. وفي سياق دخول الفعلين على الوجه، فإن إلقاء الشيء ورميه في الوجه يحمل معنى الإهانة وسوء المعاملة، بعكس وضع الشيء على الوجه. ولعل مترجمي المجمع عمدوا إلى ترجمة الفعل (ألقوا) في هذه الآية ترجمة دينامية لأنه لا يعقل أن يقصد نبي الله يوسف عليه السلام، مثال العفة والأدب والرحمة، إهانة والده برمي قميصه على وجه أبيه. بيد أننا لا يمكن أن نعدّ هذا التطويع الحل الأمثل لترجمة هذه الآية – وهذه هي الإشكالية الحقيقية لمنهج التكافؤ الدينامي -، لأنه يمكن أن نبقي على المعنى الحرفي لفعل (ألقوا) ونقول بأن ما صدر من يوسف عليه السلام من أمر إلقاء القميص على وجه أبيه لم يكن لغرض الإهانة أو الاستعلاء، وإنما كان لغرض العلاج والتطبيب، فالقسوة في العمليات الجراحية من شق بطن واستخدام آلات حادة لا ضرر فيها ولا مهانة طالما أن الغرض منها طلب الاستشفاء وتخفيف الألم. ولكن على الرغم من إمكان الإبقاء على

المعنى الأصلي لفعل (ألقوا) في ترجمة هذه الآية وتأويل المراد منه في هامش الصفحة إلا أن مترجمي المجمع آثروا التطويع والخروج بسلام مما قد توحيه الترجمة الحرفية من سوء الأدب وعدم احترام الآباء.

الخاتمة:

يتبن لنا من خلال ما تقدم، أن منهج الترجمة الدينامية الذي دعا إليه نايدا لا يمكن أن يمثل المنهج المثالي لترجمة النصوص الدينية لأنه سيؤدي حتمًا إلى تحريف النص الأصلي وتشويهه لغياب الضوابط الواضحة لحدود التصرف والتطويع. وعلى الرغم من ذلك، فقد حاولنا في هذه الدراسة المصغرة أن نعالج مفهوم الترجمة الدينامية ونعيد صياغتها ونضبط حدودها ونقنن استخدامها لتدخل ضمن أساليب الترجمة التفسيرية التي يجيزها جمهور علماء المسلمين. ويمكن أن نلخص ضوابط الترجمة الدينامية للقرآن الكريم في النقاط التالية:

أولاً: يجب رفع توهم أن تكون الترجمة هي القرآن نفسه، ويكون ذلك بأن يطبع النص العربي للقرآن وترجمته جنبًا إلى جنب لتسهيل عملية المراجعة والمقارنة.

ثانيًا: يجب أن تكون الترجمة مستندة إلى الأصول الصحيحة في تفسير القرآن الكريم وبيان هديه وأحكامه.

ثالثًا: يجب أن يبدأ المترجم في ترجمته بالترجمة الحرفية السليمة التي تراعي جميع مفردات النص القرآني وتحافظ على سلامة قواعد اللغة الهدف. ويجوز للمترجم إذا مست الحاجة إلى التوسع في تحقيق بعض المسائل أن يلجأ إلى التوضيح والشرح في الحاشية أو هامش الصفحة.

رابعًا: يجوز للمترجم أن يلجأ إلى الترجمة التفسيرية أو الدينامية إذا ما استغلقت عليه الترجمة الحرفية، بشرط أن تأتي الترجمة الدينامية مكملة للترجمة الحرفية، فيأتي ظهورها بعد الظهور اللفظي لترجمة جميع ألفاظ النص القرآني. ويجب أن يستقيم المعنى الدينامي أو الوظيفي مع حكم العقل الفطري السليم.

خامسًا: إذا جاءت الترجمة الدينامية في صورة تأويل، فيجب أن تأتي وفقًا لما جاء من المعصوم في تفسير القرآن، كما يجب أن يتم تدوينها في هامش الصفحة. ويجب أن يتفادى المترجم الآراء الشخصية التي يطلقها بعض المفسرين في تفاسيرهم، فهي إن لم تكن على ضوء هذه الموازين، فهي من التفسير بالرأي وساقطة عن الاعتبار، وليس للمترجم أن يتكل عليها في ترجمته.

وإذا روعي في الترجمة كل ذلك، فإن المترجم يمكن أن يحقق مقاصد ترجمة القرآن. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مقاصد ترجمة القرآن لا ينبغي أن تتوقف عند تيسير فهم القرآن للمسلمين من غير الناطقين بالعربية فحسب، بل يجب أن يكون من مقاصد الترجمة أيضًا رفع النقاب عن جمال وحسن النظم القرآني لمن لا يستطيع أن يراها بمنظار اللغة العربية. وفي سبيل تحقيق ذلك يمكن الاستعانة بالترجمة التفسيرية أوالدينامية المقننة لأن بمقدروها شرح جماليات النص القرآني حتى وإن ذكرت في الحواشي والهوامش. فنقل جماليات القرآن الكريم يمكن أن يساعد، بجانب فهم المقاصد الإيمانية والشرعية، على تدبر معاني القرآن بعمق واستشعار تأثيره الروحي. وعندئذ تصبح قراءة القرآن وفهم معانيه عملية ميسرة لجميع الناس، عربًا وغير عرب، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٢٢﴾ [القمر: ٢٢].

هوامش البحث:

(١) كاتفورد، (١٩٨٣)، نظرية لغوية في الترجمة، ص٤٤.

(2) Zlateva, (1993), ***Translation as Social Action:*** p.22.
(3) Snell-Hornby, (1984), ***Linguistic Transcoding or Cultural Transfer,*** p.80.

(٤) نايدا، (١٩٧٦م)، نحو علم الترجمة، ص٣١٠.
(٥) المصدر السابق، ص٣٢١.
(٦) نقلاً عن: مونان، (١٩٩٢)، المسائل النظرية في الترجمة، ص١٢٦.
(٧) نايدا، (١٩٧٦)، نحو علم الترجمة، ص٣٢٤.
(٨) المصدر السابق، ص٣٢٧.
(٩) المصدر السابق، ص٣٢٥.

(10) Nida, (1982), ***The Theory and Practice of Translation,*** p.1.

(١١) نايدا، (١٩٧٦)، نحو علم الترجمة، ص٣٢٨.

(12) See: Pederson, (1988), ***Essays on Translation,*** p.19.

(١٣) نايدا، (١٩٧٦)، نحو علم الترجمة، ص٣٣٣.
(١٤) حديث متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

(15) Nida, (1993), ***Bible Translation,*** p.23.

(١٦) ابن كثير، (١٩٩٧م)، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٥٥٨.
(١٧) نقلاً عن: عناني، (٢٠٠٣)، نظرية الترجمة الحديثة، ص٦٦.
(١٨) مونان، (١٩٩٢)، المسائل النظرية في الترجمة، ص٢١٨.
(١٩) نيومارك، (١٩٩٢)، الجامع في الترجمة، ص١٢٩.
(٢٠) نيومارك، (١٩٨٦)، اتجهات في الترجمة، ص١٠٥.
(٢١) نقلاً عن: عناني، (٢٠٠٣)، نظرية الترجمة الحديثة، ص٦٥.
(٢٢) نيومارك، (١٩٨٦)، اتجهات في الترجمة، ص٨١.

(٢٣) اللاوندي، (٢٠٠١)، إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم، ص٤٠.
(٢٤) النسفي، (١٩٨١)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج١، ص٥٤.
(٢٥) الصابوني، (١٩٨١)، صفوةالتفاسير، ج١، ص٢٧٧.
(٢٦) الألوسي، (١٩٨٥م)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، ج٥، ص٤٣.
(٢٧) قطان، (١٩٨١)، مباحث في علوم القرآن، ص٣٢٥.
(٢٨) الذهبي، التفسير والمفسرون، ص٢٤.

(29) Rabassa, (1989), ***No Two Snowflakes are alike,*** p.6.
(30) Gentzler, (1993), ***Contemporary Translation Theories,*** p.13.
(31) Irving, (1988), The Quran, p.XLI.

(٣٢) القروء جمع قرء، وهو في العربية يحمل ثلاثة معان، وهي: الحيض أو الطهر أو كلاهما، فمن العرب من يسمي الحيض قرءا، ومنهم من يسمي الطهر قرءا، ومنهم من يجمع بينهما.

(33) Abdullah Basmeih, (1972), ***Tafsiran Pempenan Rahman.***
(34) Mahmud Yunus, (1979), ***Tafsir Quran Karim.***
(35) Abdu Rauf al sinkili, (1951), ***Terjemahan al mustafied.***
(36) Mahmud Yunus, ***Tafsir Quran Karim.***
(37) Abdullah Basmeih, ***Tafsiran Pempenan Rahman.***

(٣٨) قطان، (١٩٨١)، مباحث في علوم القرآن، ص٢٨٠.
(٣٩) المصدر السابق، ص٣١٥.
(٤٠) نيومارك، (١٩٩٢)، الجامع في الترجمة، ص٩١.
(٤١) عجينة، (١٩٨٩)، نظريات الترجمة، ص٢٧٥.
(٤٢) مونان، (١٩٩٢)، المسائل النظرية في الترجمة، ص٣٦٣.

(43) Lafever, (1992), ***Translation, Rewriting and Manipulation of Literary Fame,*** p.vii.
(44) Steiner, (1992), ***After Babel,*** p.251.
(45) Zhong, (1988), ***Death of the Translator and Birth of the Interpreter,*** V.44, p.344.

المصادر والمراجع العربية:

١ - ابن كثير، عماد الدين إسماعيل. **تفسير القرآن العظيم.** (الرياض: دار عالم الكتب، ج٤، ١٩٩٧م).

٢ - الألوسي، شهاب الدين السيد محمود. **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم.** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج٥، ١٩٨٥م).

٣ - جي. سي. كاتفورد. **نظرية لغوية في الترجمة.** ترجمة: عبد الباقي صافي. (البصرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٨٣م).

٤ - الذهبي، محمد حسين. **التفسير والمفسرون.** (القاهرة: من دون ناشر).
٥ - الصابوني، محمد علي. **صفوة التفاسير.** (بيروت: دار القرآن الكريم، ج١، ١٩٨١م).

٦ - عجينة، محمد. **نظريات الترجمة.** في: الترجمة ونظرياتها. إعداد مجموعة من الأساتذة الجامعيين. (قرطاج: بيت الحكمة، ١٩٨٩م).

٧ - عناني، محمد. نظرية الترجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة. (مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ٢٠٠٣م).

٨ - قطان، مناع خليل. **مباحث في علوم القرآن.** (القاهرة: دار غريب للطباعة، ١٩٨١م).

٩ - اللاوندي، سعيد. **إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم.** (القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠١).

١٠ - مونان، جورج. **المسائل النظرية في الترجمة.** ترجمة: لطيف زيتونة. (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢).

١١ - النسفي، عبد الله بن أحمد. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل.** تحقيق: مروان الشعار. (بيروت: دار النفائس، ج١، ١٩٩٦).

١٢ - نايدا، يوجين. **نحو علم الترجمة.** ترجمة: ماجد النجار. (بغداد: مطبوعات وزارة الإعلام، ١٩٧٦م).

١٣ - نيومارك، بيتر. **اتجاهات في الترجمة: جوانب من نظرية الترجمة.** ترجمة: محمود إسماعيل الصيني. (الرياض: دار المريخ، ١٩٨٦).

١٤ - نيومارك، بيتر. **الجامع في الترجمة.** ترجمة: حسن غزالة. (مالطا: إيلجا، ١٩٩٢).

المصادر والمراجع الإنجليزية والملايوية:

1 - Abdullah Basmeih, ***Tafsiran Pempenan Rahman,*** (KL: Bahagian Halehwal Islam JPM,1972).

2 - Abdu Rauf al sinkili, ***Terjemahan al mustafied,*** (Singapura: Pustaka National, 1951).

3 - Gentzler, Edwin, ***Contemporary Translation Theories,*** (Clevedon: Multilingual Matters, 1993).

4 - Irving, ***T. B., The Quran,*** (Iowa: Goodwords Book, 1988).

5 - Lafever, Andre, ***Translation, Rewriting and Manipulation of Literary Fame,*** (London: Routledge, 1992).

6 - Mahmud Yunus, ***Tafsir Quran Karim,*** (Singapura: percetakan pakar, 1979).

7 - Nida, E. A., ***The Theory and Practice of Translation,*** (The Netherlands: E. J. Brill, 1982).

8 - Nida, E. A. ***Bible Translation,*** isn. Routledge Encyclopedia of Translation Studies, Baker, Mona (ed.), (London & New York: Routledge, 1993).

9 - Pederson, V. H., ***Essays on Translation,*** (Kobenharn: NNFAB, 1988).

10 - Rabassa, Gregory, ***No Two Snowflakes are alike,*** ins: The Craft of Translation, Bigunet, John & Schulte, Reiner (ed.), (Chicagi: The University of Chicago Press, 1989).

11 - Snell-Hornby, Mary, ***Linguistic Transcoding or Cultural Transfer: A Critique of Translation Theory,*** Ins Translation, History and Culture, Bassnett, Susan (ed.), (London & New York: Printer Publisher, 1984).

12 - Steiner, George, ***After Babel,*** (Oxford: Oxford University, 1992).

13 - Zhong, Yong, 1988, ***Death of the Translator and Birth of the Interpreter,*** Babel, V.44.

14 - Zlateva, Palma, ***Translation as Social Action: Russian and Bulgarian Perspective,*** (London & New York: Routledge, 1993).

* * *

The Problem of Dynamic Equivalence in the Translation of the Holy Quran: A Linguistic Perspective

Dr. Majdi Haji Ibrahim,

Dept. of Arabic Language and Literature, IRKHS
International Islamic University, Malaysia

ABSTRACT

This study aims at assessing the nature of dynamic equivalence in translating religious texts by looking into the possibility of applying this principle to the translation of the Quran. The study limits itself to dealing with the problem of using dynamic equivalence in translating the Quran to Malay from a linguistic perspective as based upon insights from the various translation theories and the foundations of general linguistics. The study also attempts to propose new conditions for applying this principle to translation of the Holy Quran.

Key Terms: translation, the Holy Quran, Malay, dynamic equivalence, linguistic perspective.